ذاكرة تقنيّة

شيخة الجابري

حينما تعبث بك التكنولوجيا فتُصبح في عداد المفقودين إلكترونياً بسبب اختراق هكري يدمر كل شيء بضغطة زر، ويكون من آثاره فقدان كل المعلومات التي حملها الموقع الذي أنت عضو فيه، ولم يعد بإمكان صاحبه، أو أي فرد من أعضائه . استعادة شيء من ذواتهم ولو طاولوا النجوم، كيف يمكن أن تتصرف؟

حينها من يُنقذ ذاكرتك، فكرك، إبداعك، جزءاً من عقلك، من ضياع مؤكد لعمل طالما قضيتَ الوقت من أجل نشره عبر وسيط يسمى موقع إلكتروني، ومن يعزّيك في فقد ذاكرتك، أو يواسيك عند إصابتك بصدمة نفسية إلكترونية مباشرة؟

كثيرون يروّجون لفكرة أن النّت والاتصال الشبكي سحب البساط من وسائط الاتصال التقليدية، بما فيها من وسائل تواصل كالبريد التقليدي، والصحف، والمجلات، والمطبوعات الورقية، فقد أصبح بإمكان المرء تصفح ما يشاء من إصدارات وهو يحمل جهازاً بحجم كف اليد، وصارت الصحف الإلكترونية منافسة للورقية كما يزعمون، لكن، ويمكننا أن نضع تحت ال"لكن" تلك أكثر من خط أحمر، ماذا يفعل المرء إذا انقطعت الكهرباء مثلاً وهو في حالة توحد مع كتاب أو صحيفة، أو كان يقوم بكتابة عمل أدبي ما بغية نشره عبر إحدى الوسائط النتيّة، حينها أي ردة فعل ستسيطر عليه؟ وكيف يمكنه التعامل مع الموقف؟ وهل يهرب منه إلى مطبوع ورقي يكفيه عناء الغضب، والانتظار؟

الذي جعلني أدوّن هذه الخاطرة ذهابي للبحث عن موضوع في أحد المواقع النتيّة الكبرى، ولكنني فوجئت بعدم وجود الموقع، ثم حين سألت علمتُ بأنه قد تعرض لقرصنة إلكترونية ذهبت بكنز المعلومات التي يحملها أدراج الرياح، ولم يعد ممكناً استرجاع أي من المواد التي حُمّلت على ذاك الموقع وهو الأوسع انتشاراً ضمن تصنيف المواقع الإخبارية والأدبية .

لقد فقد مع الموقع نسبة كبيرة من المواد الأدبية والفكرية التي كتبها أصحابها بدم قلوبهم، وماء أعصابهم، فمن يعيد للشعراء قصائدهم، وللكتّاب كلماتهم، وللمتعبين استراحاتهم الخاصة؟

هكذا هي التكنولوجيا سكين حاد، لابد أن تعرف متى وكيف تستخدمه، وإلا كانت العواقب الوخيمة، نفسياً، ومادياً، وأخلاقياً كذلك .

وفي ظل تلك الانتكاسات التقنيّة رفيعة المستوى يظل البقاء للأرق، للقلق، لفعل الكتابة الحقيقي، للورق الأبيض الراعب الذي يأخذك عبر مساحاته إلى عوالم من الدهشة والإبداع، للموت أمام ظل ورقة، ليبقى العقل حاضراً، متقّداً وهو ينحت حرفاً، ويصنع جملة إبداعيةً مختلفة، يبحث بين أرفف المكتبات، وغبار الوقت عن سفر يعيد إليه تلك العلاقة المفقودة بين الكتاب والكاتب، فيكون صديق الروح، وخلّها الوفي الذي لايستعصي رغم حكايات الأساطير والمأثورات الشعبية .

بلا شك، هناك فرق كبير بين أنّات الكيبورد وإزعاج مفاتيحه، وصفحات تقلّبها بحب وروية، وانسجام، وحيوية، هكذا يُصبح الكتاب أكثر أهمية من موقع يغيب بغياب ضمير إنساني، وبضغطة زر .